

تجديد المخلف لأمجاد السلف

المواعظ
العدد ٧٤

تجديد الخلفي لأمجاد السلف

المجاهد الكبير: عبد الرحمن القشبي

بهايون إقام المسلمين ويفرون من ملاقتهم فيهادنون ويعقدون الصلح ويدفعون الجزية استسلاماً للموقف، لأنهم واجهوا الصلابة والغلظة والصدود عينا حقا، فوجدوا رجالاً - لو أرادوا قلع الجبال لقلعوها - كانوا رهياباً في الليل فرسأاً في النهار، لم يدعوا حقا إلا ابتدروا، فلم يعكفوا على بعض خصال البر ويكفوا عن آخر، بل كان التوفيق والجمع بين أبواب البر حلقاً لهم، تجدهم في قراع الحطوب وميادين الجهاد فرسأاً مجاهدين، وفي صفوف الصلاة خاشعين مصليين وفي جوف الليل (كأثراً قِيلاً من الليل ما يهجنون)). «الذاريات: ١٧».

وفي شهر رمضان وتطوع النهار صائمين، وفي رياض الذكر ذاكرين ((بِدِكْرُونَ اللهُ يَا مَأْمُومًا وَقَوْمًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ)). «آل عمران: ١٩١»، وفي أبواب التصديق عطاةً منقنين، وفي جانب الكسب لقوت الأهل محترفين، بينهم مودة ورحمة، وعلى الكافرين أشدة ((أَشِدَاءٌ عَلَى الْكَاذِبِ رَسْمًا يَنْهَى)). «الفتح: ٢٩»، وهكذا بين جميع أبواب البر والتقوى مؤقنين، ولأولى ممتدنين، ففي الجهاد يدفعون الأموال ويوجلون الأشغال ويفارقون العيال، وفوق كل هذا بذل المهيج كان لهم النهج - الجود بالنفس أقصم غاية الجود- ولم تكن هذه السيرة الراشدة المهدية قائمة بهذا المقام العجل المستقيم إلا نتيجة اتباعهم للرسول الكريم المبعوث رحمة للعالمين، وتلقيهم عنه وتحكيم أمره (صلوات ربي وسلامه عليه) في جميع شؤونهم، تركوا رغباتهم لرغبتهم ﷺ، وأسلموا أنفسهم بيده ﷺ لأنهم اتتمروا بقوله سبحانه وتعالى ((الَّذِي أُولَى بِنَفْسِهِ مِنَ أُنْفُسِهِ)). «الأحزاب: ٦»، وقد استقر هذا في نفوسهم استقراً عقدياً لا ينكح أبداً، فلا يقدمون على مزاد يهينون إليه حتى يستترشد أحدهم من رسول الله ﷺ، ومن ذلك فعل الصحابي الذي جاء خبره في الحديث

الحمد لله القوي المتين سبحانه وتعالى بيده التمكن (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ))، «الأعراف: ١٢٨»، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين، إمام النبيين والمرسلين رسول الله محمد النبي الأمين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الذين انطوت تحت أقدامهم الأرضين فأظهر الله على سواعدهم أمر هذا الدين وشيدوا مجداً خالداً بامتداد السنين رغم هزيم الحاسدين ولهاتم الحاقدين. وبعد.. فإلى أمة الجيب محمد ﷺ قد سبقت من قبلها فكأنت خير الأمم، فعاداً عساه أن يجول في خلدك إزاء أمة أخذت منهاجها من النبي المصطفى والحبیب المجتبی ﷺ، الكامل الأوصاف على سائر الخلاق، تلوذ به الأبطال عند حمى الوطيس، وتلنن الشدائد والصعاب قبل حضرته، كان خلقه القرآن، ((وَأَنَّكَ لَمَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ)). «البقرة: ١٢٩»، أمة تولى رعيتها وتربيتها من ((الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْوَعْدَ مِنَ اللَّهِ وَيَجْعَلُونَ أَوْلَادَهُمْ أَتْرَابًا لِلَّذِينَ آمَنُوا)). «الاحزاب: ٥٠»، حفل التاريخ بمجدها أنزاع وإرثها الفخر فترا مشحونا فياضاً بالمآثر والعبير، سجلت بطولات السلف من الصحابة الكرام معالم لا تنسى وبراهين لا تنكر، نُقِشت على ذاكرة التاريخ كتفئس على الحجر، في كل مجال لهم شواهد حافظة في كل فريضة ونافذة، ففي مجال الحروب واللقاء قد جابوا الصحاري رغم غورة أرضها، وجزوا البحار رغم اتساع عرضها، فخذوا المعارك في الظروف الحوالمك، بقوة إيمان وعزائم فادافوا الجبايرة من الهزائم، بهمة لا تنتهي، وجلادة لا تنحني، حتى طهرت أرض البعثة من كل دنس ورجس، فلم تحجم واقفة بل امتدت الفتوح بجسورها على امبراطورية الروم وكذا الفرس، فتهاققت الحصون المشيدة، وصارت محاصرة مقيدة، حتى أدعن زعواها للحق طوعاً وكرها، فصار أعداء الأمة

٢٥

المواعظ

العدد ٧

متصل بعضها ببعض، ففي كل جيل طائفة تتأصّر
الحق، فلو امتعت في مطالعة التاريخ وسألت مراحلها
إذ لم يُخلُ زمنٌ من هذه الطائفة، ولو التفت إلى زمانك
الذي تعيشه مفتشاً عن الذين يناصرون الدين في زماننا
اليوم لأجابتك الواقع المليء بالشواهد في ما يجري على
أرض العراق من المشاهد، وما يصنعه المجاهدون
الصابرون في البأساء والضراء وحين البأس، وما
يجري على أيدي أبطال جيش رجال الطريقة القشربندية،
الذين جعلوا أتباع رسول الله ﷺ في الأقوال والأفعال
أساساً لهم، في نشر الدعوة وتعليم الشريعة وحضورهم
حلق الذكر وفعل المعروف ومجاهدة النفس وجهاد
العدو في سبيل الله تعالى، وأوضح الشواهد لهم بأنهم
أول الناس إقداماً في محنة العراق لجهاد العدو المحتل
هو قصف العدو المحتل لجامع الحسن بن علي عليه السلام
في الفلوجة بالطائرات خلال شهر الاحتلال الأولى
بعد أن بأس العدو من مواجهة مجاهدينا في الميدان
وكذلك الآلاف من العمليات النوعية الكبرى والبطولات
العظمى والتي لا يتسع المجال لذكرها والبعض منها
موقف ضمن إصدارات جيشنا المرئية، فلم تضعف
عزائمهم رغم المغفان والمحن، من غير كلال ولا ملل،
ويؤدون الواجبات بثوق وشوق، لم تتخضع الباهم بما
اختلف به الأعداء من ترويح الأعيام فيما عرضوا على
المجاهدين بأن يلقوا السلاح ويسلموه لهم، أو الدخول
في الشبكات التي نصبه المحتل تحت مسمى العملية
السياسية وغيرها من الخدع الواهية، ولكنهم اختاروا
السبيل الأسلم والطريق الأحكم، وهو مقارعة العدو
ومجاهدته حتى خروجه من بلادنا صاغراً ذليلاً، فلم
يرضوا بالذنية في دينهم وهذا منهج سار عليه الأصحاب
الكرام من قبل فأعزهم الله تعالى، فاتخذ مجاهدو
جيشنا نهجاً في مسيرهم الجهادي ليجتدوا به الأمجاد
فكانوا خير خلف لخير سلف وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً..

الحسن فيما رواه الإمام أحمد والترمذي عن سيدنا أبي
هريرة رضي الله عنه قال: مر رجل من أصحاب رسول الله
ﷺ يشعب فيه عيبه من ماء عذبة فأعجبته لطيبها
فقال لو اعتزلت النائم فاقمت في هذا الشعب ولن
أفعل حتى أستأن رسول الله ﷺ، فذكر ذلك لرسول
الله ﷺ فقال: ((لا تفعل فإن مقام أحكم في سبيل الله
أفضل من صلته في بيته سبعين عاماً ألا تحبون أن
يعفّر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا في سبيل الله من
قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة))، «سنن
الترمذي ج ٤ ص ٤١٨»، وقال شراح الحديث: (وفواق ناقة:
قدر ما تدر لينها لمن حليها)، فترك الصحابي على
القوم ما نواه من عزلة وتفرغ لعبادة الله سبحانه وبادر
إلى ما أرشده إليه المصطفى ﷺ بالقيام في سبيل الله
مجاهداً لما للجهاد من فضل سابق على سائر العبادات،
وما أروع ما أتى بهذا المعنى من قصيدة الفقيه
العالم المجاهد عبد الله بن المبارك رضي الله عنه للفضيل بن
عياض رضي الله عنه الناسك العابد الزاهد ونسوق بيتين منها:
يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك بالعبادة تلعب
من كان يخصب خذ يمشوه فخوراً بئسما تلتخب
السابق إلى موادين الجهاد كان شعار الصحابة الكرام
وشيمتهم ثم التابعين من بعدهم، والأجيال جيلاً عن جيل
يجدون مجد سابقيهم، خلفاً عن سلف، لئلا تنتثر القيم
الظبية والمواقف البطولية التي يكمن العز فيها، فما
قيمة قوم فخرُوا بأجداد أسلافهم قولاً بلسان فقط وتركوا
أخذها بالفعل وساعد الجد؟، فالأصل الصحيح أن يُكَمَّل
اللاحقون مجد السابقين، وكذلك اقتضت حكمة الله تعالى
أن يجعل في كل زمنٍ أهل للحق قانمين لإظهاره بنشر
دين الله والجهاد في سبيل الله كما قال النبي ﷺ: ((لا
ترأى طائفة من أمّتي ظاهرين على الحق لا يضرمهم
من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك))، «صحیح سنن
ج ٣ ص ١٥٢٣»، وما الدهر إلا كسلسلة حلقتها الأجيال

٢٢